بقي انهُ في بعض الاقاليم قد تُحفظ الجثث بلا تحنيط اي بمجرَّد طبيعة الاقليم وذلك ان كل احدٍ يعلم ان التجمُّد بالبرد يحفظ الجثث من الفساد وفي سيبيريا من ذلك امثلةٌ غريبة من الماموث المتحجر الذي وُجد تحت الجمد سليماً من العوارض بحيث لم يلمّ بهِ ادنى فساد لا في جلدهِ ولا في لحمهِ . وكذلك الحرّ الشديد يفعل الفعل نفسهُ فقد ذكر همبلد انهُ وجد في المكسيك مومياتٍ من هذا النوع وروى بعض السيَّاح انهُ زار بعض ساحات الحرب في مواضع من البلاد الاميركية شديدة الحرّ لا يقع فيها مطر فوجد هذه الساحات مغطاة بجثثٍ قديمة من الاسبنيول واهل البيرو جافةً سليمةً من الفساد . وهناك مواضع اخرى من طبع تربتها ان تحفظ الجثث من غير ان تكون شديدة البرد او الحرّ منها مدفن القديس نقولا بتولوزومدفن كنيسة القديس ميخائيل ببوردو وقد ذكروا ان هناك ديماساً فيهِ نحو مئة جثة في حالة المومياء وهي من تواريخ متفاوتة ويقال ان منها ما عهدهُ من ست مئة سنة او اكثر واحدثها عهداً وضع هناك منذ مئة سنة

﴿ فونغراف الاب لويس ﴾

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فاثبتناها بحروفها

ذكر بعض الائمة قصة زاغ (غراب) رآهُ محمد بن اسمعيل السعدي وقيل ابو الحسن عليّ بن محمد عند احمد بن ابي دؤاد وقيل عند يحيى بن اكثم .. وأن رأس ذلك الزاغ كان رأس انسان وذنبهُ ذنب غراب وانهُ كان شاعراً فصيحاً عاشقاً .....

فاثبت مشرق البدائع قصتهُ نقلاً عن احد مكاتبيهِ الالبآء كمن ثبتت عندهُ صحتها واستدركها على مقالة الضيآء «التماثيل المتحركة والناطقة» وعقب على هذه القصة

بقوله « كنا نودّ لو افادنا الدميري شيئاً من تركيب هذه الآلة ... ولعلها تشبه الآلة الناطقة المعروفة اليوم بالفونوغراف »

وكاني بحضرة الاب لو نقل شيئاً عن بساط الريح لقال هو « منطاد اليوم » ولو ذكر المارد الذي خرج من الكوز لقال هو « اللعبة التي يسميها الافرنج polichinelle » ولو مرّ بما رووهُ عن الجن وتمثل الارواح لنشر المقالات الضافية في « السيماتوغراف عند العرب »

اما تمنيه « لو افادهُ الدميري شيئاً عن تركيب تلك الآلة » يعني الغراب فقد كان الدميري رحمهُ الله يميز بين الحيوان والجماد ولو ظن الزاغ آلةً لما ذكرهُ في كتابهِ « حياة الحيوان »

على ان جميع من اوردوا قصة الزاغ المذكور ممن استشهد بهم حضرة الاب ومن فاتوهُ قد عدّوهُ في جملة المخلوقات الحية وهذه قصتهُ كما ذكرها القزويني في كتابهِ « عجائب المخلوقات » (ص ٤٥١ من طبعة غوتنجن) في الفصل المعنون « بالحيوانات العجيبة الصور » قال

« ومنها (اي من تلك الحيوانات) ما ذكرهُ ابو سعيد السيرافي عن بعض الكتاب قال دخلت على القاضي يحيى بن اكثم واذا الى جانبهِ طائر في قفص على شكل الزاغ ورأسهُ كرأس الانسان وعلى صدرهِ وظهره سلعتان فقلت ما هذا اصلح الله القاضي فقال اسألهُ فهو يجيبك فقلت للطائر ما انت فنهض وانشد بلسانٍ فصيح

انا الزاغ ابو عجوه ... انا ابن الليث واللبوه
احب الراح والريحا ... ن والنشوة والقهوه
فلا عربدتي تخشى ... ولا تحذر لي سطوه
ولي اشياء تستظرَ ... ف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعةٌ في الظهر ... لا تسترها الفروه
واما السلعة الاخرى ... فلو كانت لها عروه
لما شك جميع النا ... س فيها انها ركوه

ثم صاح زاغ زاغ وانطرح . فقلت اصلحك الله اوَهو عاشق فقال هو على ما ترى ولا علم لي به وقد ارسلهُ صاحب اليمن الى امير المؤمنين المامون وكتب لهُ كتاباً لم افضضهُ واظن انهُ ذكر فيه شانهُ وحالهُ » انتهى

وهذه الرواية واردة بين خرافات لا يقبلها عقلٌ سليم ومما ذكرهُ القزويني قبلها « امةٌ على صورة الانسان ولهم اجنحة يطيرون بها . وامة رؤوسها رؤوس الناس وابدانها ابدان الحيات . وامة في بعض جزائر الصين لا رأس لابدانهم وافواههم وعيونهم في صدورهم » قال « وسمعت ان واحداً من هذه الامة جاء رسولاً الى عظيم التتار » ..... وقس على ذلك ما ضاهاهُ من الصور والاشكال التي تولدها المخيلة واغرب ما وصفهُ منها « امةٌ لها رأسان وثماني ارجل رأسٌ واربع ارجل نحو الارض ورأسٌ واربع ارجل نحو الهواء ..... وامة يقال لها النسناس لاحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة كانهُ انسان قدّ نصفين يقفز قفزاً شديداً يوجد في غياض ارض اليمن » ..... وما كنا نودّ من حضرة صاحب المشرق الانور الا ان يصوّر لنا هاتين الامتين الاخيرتين وينشر صورتهما في مجلته حتى تكونا عنواناً ناطقاً بما تنطوي عليه من الحقائق .....

على اننا لو قطعنا النظر عما في قصة هذا الزاغ من اختلاف الروايات ونزعنا عنها ما ألبستهُ من قالب الغرابة مما لا يصدق على آلة او حيوان غير الانسان فليس في اصلها الذي لعلها بنيت عليه ما يُنكر على الزاغ لما هو مشهورٌ عنهُ من قوة الحافظة وولوعه بترديد ما يسمعهُ فقد روي بلين ان غراباً كان يحيي قيصر واوغسطس وتيبر باسمائهم وكان احياناً يملأ النفوس المحتشدة في الفوروم دهشاً وسروراً بترديده بعض فقر مما يسمعهُ من كلام الخطباء . وان شيشرون بينا كان في احدى خطبه جعل الغراب يردّد بعنف وشدة Tace, nebulo (اخرس يا سفيه) وما لبث الغراب ان اسكت ذلك الخطيب الشهير دون استيفاء كلامه

وذكر شوانكفيلد ان فلاحاً المانياً بينما كان يقطع احد الغابات اذ سمع صوتاً من الجوّ يدعوهُ باسمه فرفع رأسهُ فرأى فوقهُ جماعةً من الطيور السود وقد انقضّ من بينها طائر وحلق بعض حلقات ووقع على كتفه فاذا هو غراب كان ذلك الفلاح قد رباهُ وعاش معهُ زماناً ثم افترقا نحو عامين وقضى الله باجتماعهما

وذكر المؤرخ تورنس عن الملك فرنسيس الاول انهُ كان يستصحب الى الصيد غراباً ابقع فكان يطلقهُ على الطير اطلاق البازي حتى اذا فقأ الغراب عيني فريسته وعاد منتصراً وقف على يد مولاهُ وقال Nous avons fait bonne chasse Sire (لقد كان صيدنا غانماً يا سيدي)

فالغراب والزاغ من الطيور القادرة على حكاية صوت الانسان وعليه فان جاز ان تُقبل قصة الزاغ المذكور فلماذا نقول انه « فونوغراف » ولا نقول انه مخلوق حيّ وقد حفظ تلك الابيات كغيره من الغربان ما دام الراوون لو صدقوا يزعمون انه من المخلوقات الحية . والقزويني نفسه الذي نقل عنه الدميري يقول في كلامه عن الغراب « وبعض الغربان يأتي بالفاظ صحيحة لا يتهيأ مثلها للبغآء .. » ولكن هي الاهوآء تعمي وتصمّ

بيروت في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٠ جبران نحاس

وجآءتنا رسالة اخرى من احد مشتركينا الادبآء في رومية بمعنى الرسالة المتقدمة فاجتزأنا عن نشرها تفادياً من التكرار لان اكثر ما في الرسالتين واحد غير اننا لا بدّ ان نشير منها الى امرين احدهما تعجب حضرة المكاتب من اثبات المشرق لهذه القصة اي قصة الزاغ واستحسانه اياها مع ما فيها من الزيغ عن المعقول والبعد عن مواطن التصديق ولا سيما بعد ما اخذ على الضيآء غير مرة نشره لمقالة « اسرار الكف » الواردة في مجلد السنة الماضية (ص٢٣٤ وما يليها) وانكر عليه مقالة « الرجال المراضع » الواردة في مجلد هذه السنة (ص١٦٦ وما بعد) بدعوى ان هاتين المقالتين تعدّان من الخرافات التي لا فائدة فيها مع ان صاحبة المقالة الاولى (وهي السيدة لبيبة شمعون) قد صرّحت في استهلالها بانها لم تؤثر تعريبها عن الانكليزية الا لما رأت فيها من الغرابة ثم تعقبها صاحب الضيآء بما تراه في آخرها مما نقض به اكثر ما جآء فيها من المزاعم بالدليل العقلي فثبت انه لم ينشرها الا على سبيل التفكه بالغريب كما ينشر في هذه الايام بعض مرويات الاب شيخو مثلاً ... واما مقالة « الرجال المراضع » فلو علم هذا البارع ان ما ورد فيها من شبه الخوارق هو من الحوادث الطبيعية المقررة في العلم والتاريخ والتي اجمع على صحتها عامة الاطبآء والباحثين لم تقع عنده ذلك الموقع من الاستخفاف والاستهجان ولكن من بلغ من ذكآئه ان يجعل مجرى النفَس في العروق كما صرّح بذلك حضرة الاب في تفسيره لالفاظ فقه اللغة [1] لا يُستغرَب منه مثل هذا الانكار

(١) انظر كتاب فقه اللغة المطبوع بتصحيح الاب شيخو (صفحة ٣٧٩ سطر ٥) وهذا نص ما جآء هناك « (الوريد) عرقٌ في العنق ينبض ابداً وفيه مجرى

والامر الثاني ترنم المكاتب بلفظة « الشبوب » التي وضعها صاحب مقالة «الزاغ» للتمثال المتحرك اخذاً من الفرس الشبوب وهو الذي يقوم على رجليهِ ويرفع يديهِ ... (كذا) . ولا ريب ان هذا الوضع من جنس تلك الرواية مما دلنا على حسن ذوق الواضع في الجمع بين المتناسبات .. فهل من يشك بعد هذا ان اللغة قد سعدت في هذا العصر بفضل حضرة الاب ومريديه وان ما فاتهُ احياؤهُ في كتبه يحييه مكاتبوهُ في المشرق

عَوْدٌ الى ما هنالك

ذكرنا في الجزء العاشر من هذه المجلة بعض ما اتفق لنا العثور عليهِ من الابيات والقصائد التي رواها حضرة الاب لويس شيخو في كتابهِ شعراء النصرانية وخبط في تسمية ابحرها ذلك الخبط العجيب مما كان في غنًى عن الخوض فيهِ والتعرض لتبعاتهِ ونحن موردون هنا امثلةً من سائر الابيات التي افسد اوزانها في الكتاب المذكور وغيرهِ على ما وعدنا بهِ هناك وهي اكثر من ان تتسع لها هذه الصفحات ولكنا سنجتزئ منها بالقدر الذي نظنهُ

النفس » ..... انتهى بحرفهِ ورسمهِ . قلنا وكم لحضرة الاب من امثال هذه الفائدة في الطب والهيئة والتاريخ والجغرافية وعلم الحيوان وغيرها كقوله في الكتاب المذكور (ص ٣٧٠) الضب حيوان يسميهِ العامة حرباية ... وقولهِ (ص ٣٨٣) عمر بن الخطاب الخليفة الثالث ... وفي شرح مجاني الادب (ص ٨١) الراقي الذي يحسب سير النجوم وعلاقتها بالافعال البشرية ... وفيهِ (ص ١٨١) زحل اسم سيار من السيارات التسع .. وكرره في صفحة ٤٧٦ . وفيه (ص ٤٧٩) العقاب .. وقعهُ في القطب الشمالي في وسط المجرة ... ! وفيه (ص ٤٨١) ليس الصوت منفرداً بالتوقف على تموج الهوآء بل النور ايضاً ..... وانظر تعريفه للاقليم (ص ١١٧) ووصفهُ للجوزآء (ص ٤٧٩) وقس على ذلك مما يطول استقراؤهُ